باحثات شابات

باحثات شابات

هذه نصوص تلخّص أعمال باحثات شابات: أي اللواتي انجزن رسائل كفاءة أو ماجستير.

وعناية تجمع الباحثات اللبنانيات بهذا الجيل من العاملات في الشأن البحثي تأتي في سياق واحدة من اهتماماته الرئيسية. وإذا لم يأخذ هذا الاهتمام طابع التغطية الشاملة والدقيقة، إلاّ أنه يطمح إلى التمكّن من رصد الباحثات الشابات في كل جامعات لبنان وكلياتها.

إنه إذن جهد أولي، غير مكتمل المعالم حتى الآن... وهو يحتاج إلى تجاوب الباحثات الشابات معه: سواء بإرسال خلاصاتهن البحثية، أو بالإتصال لتقديم أفكار واقتراحات جديدة... قد تساعد تجمع الباحثات اللبنانيات على بلورة السُبل الأفضل للتعبير عن هذا الاهتمام.

محمد حسين هيكل
والدعوة إلى الأدب القومي المصري حتى ١٩٣٢

نجاح عطية

طغت الدعوة إلى القومية المصرية وخلق أدب قومي مصري على كتابات محمد حسين هيكل خلال العقدين الأول والثاني من هذا القرن. وقد ساعده على نشرها إسهامه في تحرير جريدة الجريدة (١٩٠٨ ـ ١٩١٥) ورئاسته لتحرير صحيفة السياسة والسياسة الأسبوعية (١٩٢٢ ـ ١٩٣٦). على أن هذه الفكرة لم تولد مع هيكل بل هيأت لنموها ظروف سياسية واجتماعية ترجع إلى عهد رفاعة الطهطاوي بالرغم من أنها لم تكن انذاك أكثر من مجرد تعبير عن الإحساس بالوطنية.

واشتد هذا الإحساس وقوي مع الجيل التالي. جيل العرابيين، فأصبح تمييزاً لما هو مصري إزاء ما هو أجنبي. وإذا اعتبرنا هذه النزعة، أي النزعة نحو القومية المصرية، ذات شقين: سياسي وفكري، فإنه في زمن العرابيين طغى الشق السياسي فتمخضت عنه الثورة العرابية. وذلك على عكس ما حصل زمن الجيل اللاحق ـ جيل محمد عبده وتلاميذه الذين عملوا على نشر النزعة المصرية فكرياً حتى بلغت قمة نضوجها في العشرينات من القرن الحالي مع هيكل وغيره من تلاميذ جريدة الجريدة وكتاب السياسة والسياسة الأسبوعية.

لهذا كان لا بد، في هذا البحث، من تتبع نمو الفكرة القومية المصرية في مراحلها المختلفة مع ذكر أبرز الشخصيات التي عُنيت بها، ولو بشكل موجز. لذلك آثرنا البدء بجيل رفاعة الطهطاوي وتلاميذه، ثم جمال الدين الأفغاني وتلاميذه أو جيل العرابيين، ثم محمد عبده وتلاميذه. وبعد ذلك تحدثنا عن نشأة الأحزاب المصرية مع التركيز على حزب الأمة وطبقة الأعيان التي كانت وراء نشوئه، باعتباره أشد الأحزاب مناصرة للفكرة القومية، كما أفردنا قسماً للتحدث عن أحمد لطفي السيّد وجريدة «الجريدة» الناطقة بلسان حزب الأمة والتي تبنت الدعوة للقومية المصرية والجامعة المصرية.

أما حديثنا عن هيكل فقد قسمناه إلى فصول ثلاثة: الأول يتعلق بحياته، والثاني بفكره، والثالث بكتاباته في جريدة «الجريدة»، وفي جريدة «السياسة» وصحيفة السياسة الأسبوعية. ورأينا أن نقف بالبحث عند مطلع الثلاثينيات لأنه منذ ذاك الحين اتجه هيكل إلى كتاباته الإسلامية مغيراً أسس دعوته من ربط مصر بالماضي الفرعوني إلى ربط مصر بالعصر الإسلامي. غير أنه مع ذاك، لم يغيّر اتجاهه القومي المصري إذ لم يكن في أي وقت من الأوقات من مناصري الجامعة الإسلامية أو القومية العربية.

اعتمدت في هذا البحث على كتبه الصادرة حتى بداية الثلاثينيات: **زينب** (١٩١٤) **وفي أوقات الفراغ** (١٩٢٥) **وتراجم مصرية وغربية** (١٩٢٩) **وولدي** (١٩٣١) **وثورة الأدب** (١٩٣٣) وأكثرها نشر في «السياسة» و«السياسة» الأسبوعية.

كما اعتمدت على مذكراته التي أصدرها عام ١٩٥١ من ثلاثة أجزاء. وقد عكفت على قراءة ما عثرت عليه من مقالاته في النسخة الناقصة من جريدة «الجريدة» التي تحويها مكتبة الجامعة، كما قرأت مقالاته في السياسة الأسبوعية (١٩٢٦ - ١٩٣٠).

أما يوميات باريس، التي لم تزل مخطوطة في حوزة ابنه أحمد هيكل، فلم يتسنّ لي الاطلاع عليها بالرغم من بذل محاولات عدة للاطلاع عليها باءت جميعاً بالإخفاق. ولذا اعتمدت على ما كتبه حسين فوزي النجّار والمستشرق تشارلز سميث عنها. وأما مقالاته الأخرى في «السياسة اليومية» و«السفور» و«الأهرام» فالمتعلق منها بموضوع البحث قليل نسبياً، وقد نشر معظمها في كتبه لاحقاً فعدت إليها في هذه الكتب.

بالنسبة للمراجع المتعلقة بالبحث، فإن الكتب التي تتناول النهضة الفكرية والثقافية في مصر كثيرة متعددة دون أن يكون بينها كتاب متخصص في بحث الدعوة للقومية المصرية، ولذا كان عليّ أن أجمع من متونها المتفرقة ما يفيد هذا البحث.

أما الكتب التي تتناول هيكل وفكره واثاره فتكاد لا تتعدى أصابع اليد الواحدة، معظمها سرد لأحداث حياته مأخوذ في غالبيته من مذكراته؛ والكتاب المتميز الذي نجد فيه تحليلاً قيّماً هو كتاب تشارلز سميث. لذلك أحسست، أثناء بحثي في كتابات هيكل وتصنيفها واستخراج ما يبرز دعوته للقومية منها، أنني أقدم على عمل جديد بعكس الإحساس الذي تملكني عند كتابة القسم الأول من البحث إذ وجدتني عاجزة عن أن أضيف ما كتب عن محمد عبده وجمال الدين الأفغاني وأحمد لطفي السيد وغيرهم، فاقتصر العمل هنا على جمع المواد ومحاولة الربط بين ما تفرق منها لتشكيل خلفية لموضوع البحث.

صورة الغرب كما رآه الطهطاوي

ريما منير لبّان

كثرت المؤلفات التي تناولت تأثير الغرب في الشرق وتأثر الشرقيين بمظاهر الحضارة الغربية وتبنّيهم لبعضها. كما كثرت المؤلفات التي تناولت، من بين هؤلاء الشرقيين، الشيخ رفاعة الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٧٣م)، فتحدثت على رحلته إلى باريس وعلى ريادته لحركة النهضة العلمية في بلاده بعد عودته، وعلى تأثّره بكثير من مظاهر الحضارة الغربية.

ولكننا لم نقع، ضمن نطاق بحثنا، على مؤلّف تناول صورة الغرب كما رآها الطهطاوي؛ مع أن فهم الطهطاوي للغرب وانطباعه عنه يسبقان مسألة تأثره به أو نقله لبعض مظاهره الحضارية.

كيف فهم الطهطاوي الغرب؟ ما هي مآخذه عليه؟ ما هي مواطن إعجابه به؟ ما هو موقفه منه؟ ما هي نقاط التلاقي والاختلاف بين حضارة الطهطاوي وهذا الغرب؟ أين تجلّت الجدلية بين الشرق والغرب في ذهن الطهطاوي؟

إن هذه التساؤلات والإجابة عليها، أو محاولة الإجابة عليها، تعيننا على فهم موقف الطهطاوي والمشرقيين منْ بعده من الحضارة الغربية الوافدة، وعلى فهم طبيعة العلاقة بين الشرق والغرب إلى يومنا هذا.

وكان لا بد لنا، قبل الكلام على تجربة الطهطاوي، من الوقوف على تجارب المشرقيين المتقدمين، ودراسة انطباعاتهم عن الغرب ومدى وعيهم لما يمثّله من أفكار ومبادىء وقيم. والغاية من ذلك أمران:

الأول هو التعرف إلى خلفية الموقف المشرقي من الغرب بهدف تحديد موقع الطهطاوي ومكانته بالنسبة إلى من سبقه وتقييم آرائه على ضوء ما تقدم من آرائهم.

والثاني هو رصد التغيرات التي طرأت على نظرة المشرقيين إلى الغرب؛ فلقد كان الطهطاوي

أول من اطلع على الحضارة الغربية في ديارها لذلك جاءت نظرته إلى الغرب مختلفة عن نظرة من سبقه من المشرقيين الذين لم يتعدّ مفهوم الغرب في أذهانهم حدود الحملة الفرنسية أو بعض أخبار متفرقة، مما ترامى إلى مسامعهم، عن الثورة الفرنسية وما رافقها من أحداث.

ومن بين هؤلاء المشرقيين الذين تكلموا على الغرب، والذين كانت لهم آراء صريحة فيه نذكر المؤرخ عبدالرحمن الجبرتي (١٧٥٤ - ١٨٢٢م) والشاعر المؤرخ نقولا الترك (١٧٦٣ - ١٨٢٨م).

ولقد أرّخ كل من المؤلفين لأحداث الحملة الفرنسية بناءً على طلب أحد الحكام السياسيين، فوضع الجبرتي كتابه مظهر التقديس في زوال دولة الفرنسيس بناءً على طلب الوزير يوسف باشا «الذي أراد تاريخ فترة الحملة الفرنسية لتكون عبرة بين الناس». ووضع نقولا الترك كتابه **الحملة الفرنسية على مصر والشام** بناء على طلب الأمير بشير الذي عهد إليه «بمراقبة الحالة العامة أثناء الاحتلال الفرنسي لمصر». فكان عليه «أن يحسن المراقبة من مقره، في القاهرة أولاً، ثم في دمياط، وأن يدوّن كل ما يتصل به من أخبار الجيوش وحركاتها، وعددها وعُددها، وأن يُرسل بخلاصة ذلك إلى أميره».

ولقد شكلت تقارير ومؤلفات هذين المؤرخين باكورة الانطباعات الشرقية القيّمة عن الغرب ولم تكن صورة الغرب في أذهان الشرقيين، قبل ذلك، أكثر من مجموعة أفكار وأوهام وأحكام مسبقة تفتقر إلى المشاهدة والتجربة والتفاعل.

ولقد أردنا أن تكون دراستنا لهذا الجيل فلم نشأ أن نقتصر على تجربة أحد المؤرخين دون الأخرى؛ فلقد جاءت نظرة واحدهما مختلفة عن نظرة الاخر ومتمّمة لها ذلك أن كلاً منهما قد قيّم الغرب من خلال انتمائه الديني والسياسي والفكري:

فالجبرتي المؤرخ المسلم المصري الذي عاش تحت سلطة العثمانيين والمماليك قد أتى بمواقف واراء تختلف عن مواقف نقولا الترك الشاعر والمؤرخ المسيحي اللبناني الذي عاش في كنف الأمير بشير.

كانت الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ أول احتكاك فعلي مباشر للشرق الإسلامي بالغرب الحديث. ولقد شكلت بجنودها وعلمائها وكل ما أتت به نموذجاً مصغراً عن الغرب، اطلع عليه الشرقيون في ديارهم؛ فاقترنت صورة الغرب في أذهانهم بهذه الحملة وبكل ما اشتملت عليه من مبادىء وأفكار وقيم.

ويمثل الجبرتي الذي أرّخ لأحداث هذه الحملة نموذجاً حيّاً لهذا الاحتكاك، أو لما نجم عنه، وصدى لتصور المصريين، نخبتهم وعامتهم، لهذا الغرب الزاحف.

وتدخل في تصور الجبرتي للغرب عوامل عدة تجعل نظرته ذات وجوه مختلفة، من ذلك

عامل دخول الغرب إلى مصر كغازٍ محتل، وعامل اختلاف الحضارة والدين وعامل هام جداً وهو جهل الجبرتي والمصريين شبه الكلي بأحوال الحضارة الغربية وما وصلت إليه في كافة المجالات.

فلقد كان الجبرتي والمصريون والمماليك يجهلون أحوال الغرب وما وصل إليه في فنون الحرب بفضل تقدم العلوم والتكنولوجيا، فاستخفوا بتهديده ولم يعوا خطره، واعتقدوا أن بإمكانهم صدّه بحوافر خيولهم.

Customs, Rites and sanctuaries associated with the birth and death of children: ethnographic and archaeological evidence

Hiba Jabbour

At all times mothers' difficulties in childbirth or with infants too weak to survive have been great. As a result, women developed and trusted in customs and rites, vows and votive objects to be deposited in special sacred places or sanctuaries dedicated to the divine power responsible for fertility and health. Evidence of such beliefs and practices continues to survive to this day but is in the process of disappearing due to modern developments. In 1991, new archaeological evidence, dated to the Phoenician Iron Age, has been discovered in Tyre and Cyprus which may complement the important finds of child cemeteries and sanctuaries discovered in Phoenician sites in the Western Mediterranean. This new evidence from Lebanon, originating from clandestine excavations, needs to be checked by regular scientific excavation and analysis. The archaeological material now at hand, together with present day remnant fertility practices, deserves to be recorded and investigated.

This study is divided into two major parts, the first presents ethnographic evidence for surviving ancient and contemporary beliefs and customs associated with birth and health of children. This includes information about functioning sanctuaries where vows continue to be made to divine powers believed to influence the fate of infants from their birth onward. The second part covers the archaeological evidence, presenting several examples of children's burial grounds or *tophets* found in the Mediterranean, like those in Italy, North Africa and possibly Tyre and Cyprus *Tophets* were places where infants, who had not had the chance to grow old enough to integrate into their community's life, were buried. They were, therefore, buried apart form the older members of the society, in specific places reserved for those who rejoined the world of the dead without having had a proper chance to join that of the living.

Some answers to the many questions concerning this subject will be attempted: Where and how did these child protection practices begin? Who believes in such traditions? Do these people belong to one or several religious groups? How could these beliefs survive so persistently, and why are they now disappearing so rapidly? What is the evidence for the success or failure of such prayers or rites?

This thesis then investigates the ethnographic record of child sanctuaries and associated customs surviving to this day, and presents archaeological evidence which is related to the subject. Pertinent information will reveal whether those who practiced and still practice infant protection rites and visit associated sanctuaries or shrines, belong to specific groups and geographical areas or whether these beliefs were - and are - shared by all.

De l'energie universelle au vouloir - vivre personnel

Joumana Hayek

Dans les écrits bibliques, on raconte qu'un ange vient frapper à bouche la personne «en gestation» pour lui imposer silence sur sa connaissance de la Torah.

L'être humain ainsi explusé à la vie a déjà oublié sa connaissance initiale de la vie et garde un signe du toucher de l'ange dans le pli de la lèvre supérieure.

Dès lors, l'homme cherche à reconquérir cette vérité qui lui a été retirée. Sa recherche se traduit depuis l'aube de l'humanité par les approches cognitives qu'il a du monde et qui ne cessent de se révéler aussi diverses que contradictoires.

Sondant les profondeurs de la matière, les scientifiques y découvrent une énergie propre qui serait le moteur de tout mouvement et de toute vie. Dans leur conception cette énergie n'est point l'expression d'un esprit vital à l'oeuvre dans toute la matière à des degrés différents.

L'origine de l'homme serait-elle cette énergie spirituelle? Si oui, cet élan vital est-il le même pour toute la nature ou est-il un élan propre à chaque être qui serait alors son propre vouloir - vivre personnel?

Pour répondre à ces questions une lecture du réel à trois échelles est de rigueur et ce, afin d'y dégager les idées fondamentales qui sont à l'oeuvre et qui s'expriment surtout en termes de dualité des contraires tels le Hasard et la Nécessité, l'Esprit et la Matière. Ces trois échelles de lecture du réel sont la lecture physique, la lecture biologique, à elles deux, c'est la lecture scientifique face à la troisième, la lecture philosophique.

Un long parcours dans l'histoire des sciences physiques nous révèle des notions telles, les phénomènes aléatoires de la matière, les incertitudes dues à la mesure simultanée de la vitesse et de la position d'un électron, l'étrange stabilité et individualité de l'atome ou l'électivité de choix des structures

atomiques. Ces données toutes récentes de la physique en général et de la quantique en particulier sont assez passibles d'une interprétation vitaliste, paras-cientifique encore. La lecture du monde biologique à travers son histoire avance des faits tout aussi étonnants et qui rejoignent dans leur fond ceux du monde physique.

Les faits actuels sur lesquels les embryologistes s'arrêtent s'expriment à deux niveaux: au niveau molléculaire; en termes d'épissage et de régulation post-traductionnelle des mollécules de l'A.D.N.; en termes de gènes ouverts et codants ou fermés et non codants; et en termes de protéines stéréosphécifiques ou allostériques qui confirment les structures électives des atomes; et enfin en termes d'individuation et d'autonomie des structures atomiques. Au niveau de l'organisme multi-cellulaire, les faits se posent en langage d'induction des cellules qui se différencient et s'auto-régularisent en champs et gradients formant ainsi les différents organes. Ce phénomène par lequel les organes de chaque segment d'A.D.N. sont des organes homologues c'est le concept homéosis. De ces faits, découle la problématique des phénomènes épigéné-
façon rigide par l'enveloppe génétique et des phénomènes purement génétiques qui impliquent la chaîne causale des lois de l'hérédité.

Or, nous le savons, pour certains biologistes modernes comme Mr. Prochiantz, la part de l'épigénétique est complémentaire à celle du génétique dans la formation du vivant et elle varie selon les espèces en quantité et en qualité.

D'autres biologistes comme Mr. Monod, n'y voient là qu'un phénomène du pur hasard, ce qu'on appelle une mutation, laquelle est vite enregistrée et reproduite par la structure réplicative de l'A.D.N. Le hasard devient alors loi biologique, nécessité. Mais cette augmentation de l'information génétique, appelée aussi «négentropie», (tant par le génétique dans son développement que par l'épigénétique, qu'implique toute évolution) est un processus qui entraîne une consommation et une dissipation d'énergie, ou en termes physiques; une entropie.

A travers ces deux lectures scientifiques, la dualité du hasard et de la nécessité dans le comportement de la matière se fait plus claire. L'énergie propre à toute matière dans ses processus de développement mène à poser la part de l'esprit dans cette matière. Les scientifiques restent très intransigeants; l'énergie n'est point un esprit alors que le contenu de leurs découvertes peut bien évoquer le contraire. A ce stade une lecture philosophique à travers deux grands philosophes de la Nature; Schopenhauer et Bergson, s'impose. Schopenhauer pose un principe téléonomique à tous les phénomènes physiques et biologiques, lesquels ne sont que l'objectivation de ce principe premier, de l'essence du monde qui est la volonté. L'évolution entière tend à

l'objectivation maximale de la volonté qui s'exprime dans les formes les plus riches de l'être et ce, jusqu'à l'individuation la plus élevée qui se révèle en l'homme conscient et intelligent. Mais l'intelligence reste secondaire à la volonté laquelle peut exister sans connaissance. Pour Bergson, l'évolution entière est la traversée de la matière par l'élan qui reste emprisonné sous forme d'instinct chez l'animal et qui se révèle en acte intelligent et libre chez l'homme. En cela l'intelligence fabricatrice libère l'esprit de la matière. L'intuition géniale tant chérie chez Bergson ne peut saisir à elle seule l'élan vital.

Les philosophes de la Nature sont bien clairs: Là où les scientifiques décrétaient des notions d'incertitude des électrons, des phénomènes épigénétiques et aléatoires, ils ne voient, eux, que l'expression d'un esprit à l'oeuvre - la volonté pour l'un, l'élan vital pour l'autre - que l'intelligence discursive des savants ne peut saisir. La dualité du hasard et de la nécessité n'est malheureusement point résoute chez ces philosophes, elle ne fait qu'éclater plus.

Ainsi, tant chez Schopenhauer que chez Bergson, l'esprit immanent à la matière livre avec elle une lutte toujours plus violente afin de découper partout en elle ses propres dessins.

Par exemple, pour les embryologistes l'entrée du spermatozoïde dans l'ovule n'est qu'un phénomène mécanique de très haute spécifité chimique. Pour les vitalistes, ce passage n'est autre que le passage de l'esprit à travers l'obstacle surmonté. La vie a dû ici accepter le compromis que la matière lui imposait et qu'elle a traversé en découpant un être vivant. L'électivité immante de la structure atomique de l'ovule à la structure atomique du spermatozoïde en est la preuve. De même une fois ce passage effectué, les protéines de la couche cellulaire de l'ovule reçoivent le message et bloquent automatiquement tout autre accès à l'ovule en la protégeant par une nouvelle couche protéinique. Or cette attitude d'ouverture première à toutes possibilités et cette fermeture rigide à toute autre que celle qui a été choisie montre bien la traversée de l'esprit dans la matière, de la lumière dans les ténèbres.

Avec les vitalistes nous approchons d'une vérité très pertinente qui appelle toutefois quelques rectifications quant à la dualité violente qui y siège et quant à la vraie nature de cet esprit. Une synthèse finale est donc à faire ici même et nous avançons notre conclusion personnelle.

La vie ne se plie plus à un compromis que la matière lui impose, (comme l'affirment les vitalistes) mais aussi, c'est la matière qui s'adapte à la vie en prenant les formes premières nécessaires à toute possibilité de vie. L'attitude ouverte de la paroi de l'ovule à tous les spermatozoïdes avant la première percée est une attitude d'ouverture à la vie, de tension, de demande.

Le secret de la vie ne se lit plus dans la seule rencontre de ces deux gamètes et

Le secret de la vie ne se lit plus dans la seule rencontre de ces deux gamètes et de leur héritage génétique commun (comme le soutiennent les scientifiques). Il se trouve plutôt dans un souffle qui, en s'appuyant sur la matière qui l'appelait et le sollicitait, a siégé dans l'oeuf en même temps que le spermatozoïde. Pour la première fois, la dualité entre esprit et matière est résolue. La lutte acharnée devient une complicité harmonieuse.

La vie est donc cette rencontre amoureuse de la matière avec l'esprit ou le souffe vital. Celui-ci continue ainsi de se manifester après la fécondation dans tous les processus ultérieurs du développement embryogénétique et ce, jusqu'à la naissance et même et surtout après.

Les vitalistes ont là un mérite que d'attirer notre attention sur ce souffle vital, lequel chez l'homme se révèle être le principe psychique alors que la science ne peut en aucun cas en rendre compte. Mais ce principe psychique en tant que souffe et énergie du corps qu'il incarne a été mal interprété quant à sa véritable identité par les vitalistes.

L'élan vital qui tend dans toute l'évolution créatrice à la réalisation de cet être «flou et indécis», synthèse de tous les hommes particuliers, est par là même un élan vital impersonnel, étranger à la conscience personnelle humaine qui, seule, nous intéresse ici dans la mesure où c'est elle seule qui pourra réfléchir sur son propre moi.

De même la volonté de Schopenhauer se manifestant chez l'homme comme vouloir-vivre propre à tous les êtres vivants et même à la matière inorganique, ne décrit point la conscience humaine particulière.Or, et c'est là le point ultime de notre recherche nous pouvons avancer enfin, que cette énergie de vie est une énergie spirituelle propre à chaque individu et elle n'est rien d'autre que le principe psychique premier. Elle est ce vouloir-vivre non impersonnel mais particulier, individuel qui ne se saisit d'ailleurs comme tel que rétrospectivement. En fait la conscience réfléchie «de l'homme sain et adulte» comprend par un travail d'intuition et d'intelligence qu'elle était son propre principe de vie et ceci par un regard rétrospectif sur son passé «en gestation».

Ainsi seulement, l'homme, qui est ce vouloir vivre personnel, cette conscience primitive, cet élan particulier de vie, acquiert sa pleine valeur et une responsabilité majeure. Par son «oui» premier à la vie, l'homme devient responsable aussi de sa vie. Cette responsabilité nouvelle et fondamentale lui donne une liberté essentielle première. L'homme est d'autant plus responsable de sa vie qu'il «l'a voulue».

Au terme de cette étude une nouvelle problématique se noue et elle s'articule sur trois termes: «Conscience - Responsabilité - Liberté».

Elle peut tout aussi se lire en une phrase à la forme singulière:

«J'ai dit oui à la vie»

Parcours de Femmes et fécondité

Françoise Ghorayeb

Le statut de la femme a été un elément éssentiel pour la compréhension des faits démographiques. Cependant la relation entre la position de la femme et la fécondité n'a pas été systématiquement vérifiée.

Mon but dans cette étude a été de démontrer que nous ne pouvons pas comprendre les décisions liées à la procréation en réduisant la position de la femme à des caractéristiques individuelles, des structures familiales ou des rapports de pouvoirs. D'un autre côté, la fécondité doit être redéfinie dans un contexte plus dynamique qui dépasse la simple stratégie dont le but est d'améliorer la position de la femme. C'est en replaçant la fécondité et la position de la femme dans un contexte social faisant partie d'enjeux identitaires que j'ai pu dégager quelques hypothèses concernant les décisions liées à la procréation.

La méthodologie comprend une partie quantitative qui a permis d'identifier des histoires génésiques différentes les unes des autres. Je me suis basée sur les récits de vies de ces femmes pour entreprendre une analyse qualitative dans un deuxième temps. Mon but était de délinéer les mécanismes liés aux décisions reproductives qui expliquent à la fois les fécondités fortes et les fécondités réduites.

Dans un premier temps, les récits ont été analysés comme données. J'ai essayé de comprendre les décisions liées à la procréation à travers le statut de ces femmes. Les facteurs démographiques ayant été contrôlés, j'ai considéré le pouvoir comme épiphénomène de leur «position», en considérant tour à tour les différentes dimensions attribuées au pouvoir à travers la littérature. En démontrant des cas non expliqués, j'ai remis en question l'association mécanique qui lie ces facteurs à la procréation.

Dans un deuxième temps les récits ont été utilisés comme textes. Les femmes

à fécondité réduite avaient un discours plus moderne qui confirmait la thèse de la modernisation. En analysant les contradictions internes du récit, j'ai démontré que leurs choix reproductifs servaient de démarquations symboliques et s'inscrivaient dans une stratégie de mobilité sociale. J'ai confirmé cette hypothèse en analysant des réseaux de ces femmes pour démontrer que les femmes à fécondité réduite basent leur ancrage identitaire sur la classe sociale, contrairemet aux autres qui basent leur ancrage identitaire sur l'enclave communautaire. Il m'est apparu que ce sont ces contraintes identitaires qui régissent les stratégies reproductives qui à leur tour exigent une relecture de l'idéologie et un changement de rôles au sein du couple. Ceci va a l'encontre de la thèse de l'occidentalisation qui explique les chutes de fécondité par un changement de valeurs.

Les référents associés à la procréation dans ces textes montrent que la fécondité n'est pas seulement une activité sociale, elle rend aussi compte de processus sociaux. Dans un pays où les classes sociales et les enclaves communautaires ont traditionnellement été associées, et où les enjeux politiques dépendent du comportement démographique des différentes communautés, il est naturel que la procréation serve de «marqueur social». D'ailleurs au Liban, les différentiels de fécondité à travers les communautés s'estompent dans les classes sociales aisées.

قضيّة المرأة من الجبرتي حتى قاسم أمين

ريما عقّاد سلام

ما إن تثار مسألة تحرير المرأة في القرن الماضي حتى يسارع الكثيرون إلى ذكر قاسم أمين كرائد للدعوة إلى النهضة النسوية، ولكن أمين، وإن كنا لا ننكر فضله في هذا المجال، لا نعتبره صاحب الدعوة الأول ولا الوحيد الذي ارتفع صوته بتحرير المرأة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. «فمسألة المرأة» أقدم من ذلك. ولعلّ خروجها إلى العلن بدأ في أوائل القرن التاسع عشر إبّان الحملة الفرنسيّة على مصر عام ١٧٩٨ حين أخذ الجبرتي مؤرّخ هذه الحملة يرصد الأوضاع الإجتماعيّة التي تخبّطت فيها المرأة المصريّة آنذاك، ويستنكر ظواهر تحرّرها وخروجها، حسب زعمه، عن الحشمة والوقار. لعلّ الجبرتي بالغ في نقمته على تأثير الحملة الفرنسية على النساء، ولكنه أظهر رغم غضبته تقديراً لإحدى السيدات (نفيسة المراديّة)، فأفرد لها في كتابه «عجائب الاثار في التراجم والأخبار» ترجمة يظهر فيها إعجابه بتلك المرأة «العظيمة» على حدّ قوله.

وقد تحول الموقف تجاه الغرب عند من أصبحوا بعد الجبرتي أكثر وعياً لحقيقة الحضارة الفرنسيّة إلى مستوى أكثر دقة ومسؤولية. فعمل الطهطاوي على تبنّي ما لمسه شخصياً من فوائد الحضارة الأوروبية متحاشياً قدر الإمكان الوقوع في التقليد الأعمى، فأخذ يدعو إلى تعليم المرأة مبيّناً أهمية ذلك التعليم بالنسبة إلى تربية الأولاد وصلاح الحياة الزوجية. كما دعا المرأة إلى خوض العمل إذا دعتها الحاجة إلى ذلك. وقد حرص الطهطاوي في كلّ ذلك على الربط بين دعوته المتأثرة بالغرب وبين الإسلام الذي خرج منه بمفاهيم على جانب كبير من الأهمية.

وقد اخترنا بعد الطهطاوي ودعوته الرائدة إلى تحسين أوضاع المرأة في مصر تيّاراً فكريّاً إسلامياً لاحقاً ربما عادت إنطلاقته في الأساس إلى السيّد جمال الدين الأفغاني. فالأفغاني الذي تحاشى الخوض تفصيلاً في موضوع المرأة اكتفى بالدعوة إلى تعليمها إلى ذكر ما لذلك من أثر على تربية الأولاد تاركاً لتلميذه الشيخ محمد عبده مهمة النهوض بالمرأة المسلمة والدفاع بجرأة

ملحوظة عن قضيّتها. وتتجلّى هذه الجرأة أكثر ما تتجلّى في إباحته للخاطب حرية أن يعاشر خطيبته قبل الزواج. لكن نظرة الإمام عبده المنفتحة بالنسبة إلى المرأة وتحريرها حجاباً وعملاً وخدراً وما إلى ذلك ظلت مقيدة. إذ إنه ظلّ يرى كسائر المفكّرين المسلمين أن للرجل حقّ الرياسة لأنه المطالب شرعاً بحماية المرأة والنفقة عليها. وتعقّبنا أثر الشيخ عبده في تلميذه محمد رشيد رضا، فدرسنا مجلته «المنار» منذ بداية صدورها حتى وفاته متجاوزين في تلك الدراسة عتبة الربع الأول من القرن العشرين. وقد أردنا من وراء هذه الدراسة أن نوضح أن تلك المدرسة الإسلامية التي أظهرت بوادر تجديدية على يديّ عبده عادت إلى شيء من المحافظة والتقييد على يديّ رضا الذي حرص جاهداً على أن يعود إلى الإسلام من منطلق الحرص على إثبات أفضليته على سواه في ميدان تحرير المرأة كما في سائر الميادين.

ولم نغفل في دراستنا التيّار الفكري الشامي المواكب للتيّار المصري. فاخترنا من المفكرين الشوام الشدياق والمعلّم بطرس البستاني وابنه سليم لنقدّم هؤلاء على سواهم في ميدان المرأة. ولقد واجهتنا في دراسة اثار الشدياق صعوبات، أهمّها صعوبة قراءة الأعداد المتبقيّة من جريدة «الجوائب» في مكتبة الجامعة الأميركية نظراً إلى رداءة الميكروفيلم. لذلك، كان معولنا الأساسي على «كنز الرغائب» نختار منه كلّ ما يتعلّق بمسألة المرأة. أما البستانيان،فلم نهمل أثراً من اثارهما إلاّ وتتبعناه، خاصة جريدة «الجنة» ومجلة «الجنان». فهذه الأخيرة اقتضت الكثير من الوقت والجهد نظراً إلى أن فهرستها اقتصرت فقط على الأعداد الأولى. وقد انطلقنا من دراستنا لهؤلاء المفكّرين الثلاثة إلى زملائهم الشوام المتمصّرين الذين هاجروا إلى مصر وسكنوها حتى وفاتهم، وعلى رأس هؤلاء صرّوف والشميّل وأنطون. إعتمدنا في دراسة فكر صرّوف على مجلة «المقتطف» حتى المجلد السبعين أي سنة وفاة صرّوف نفسه. ولم نتوقف في دراستنا مجلته عند «باب تدبير المنزل» فقط، بل تحرّينا أيضاً فكره في باب «المسائل والتقاريظ» وغيره. وقد استوقفنا في «المقتطف» مقالات كثيرة العدد لا تحمل توقيعاً فاقتضانا ذلك الرجوع إلى مؤلّفاته الروائيّة جميعاً مستعينين بها على تبيّن ما يمكن أن يعود من هذه المقالات إلى صرّوف. وكان معتمدنا في دراسة الشميّل المجموعة، أمّا بالنسبة إلى أنطون فقد حاولنا جاهدين دراسة جميع آثاره في مجلته «الجامعة» وفي ما نشر له بمجلة «السيّدات والرجال»، وهذه الأخيرة لم نجد منها في مكتبة الجامعة سوى فيلم واحد.

ولقد اختتمنا هذه الدراسة بقاسم أمين فقارنّا بينه وبين من سبقوه ومن عاصروه. ولم نغفل في خلال البحث ذكر بعض الردود على دعوته، إلاّ أننا لم نصنّف هذه في باب مستقلّ خوفاً من خروج البحث عن الخطة التي وضعناها له منذ البداية وهي دراسة «مسألة المرأة من الجبرتي حتى قاسم أمين».

نؤمن أن هذا البحث هو أول محاولة لدراسة مفصلة وشاملة لمسألة المرأة في القرن الماضي.

فهو يشتمل مع شيء من المقارنة على أهم روّاد النهضة خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. رجاؤنا أن نكون قد وفّقنا إلى وضع بدايات ناجحة لدراسات مقبلة تمتدّ بموضوع المرأة إلى ما استجدّ في القرن العشرين.

الخطاب الصحافي اللبناني حول التطورات الاجتماعية، الاقتصادية لحرب الخليج الثانية في العراق والكويت. من ١ كانون الثاني وحتى ٣٠ حزيران ١٩٩١.

سلام بدر الدين

تتبدى قيمة هذا البحث والرغبة في العمل على موضوع الخليج من خلال الإعلام اللبناني المكتوب، حين نعي أهمية الدور والإرادة الإعلاميين لهذه الحرب ولكافة الحروب الأخرى السابقة واللاحقة بأنواعها وتصنيفاتها الكثيرة من: حروب باردة أو عسكرية، حروب مواجهة أو حروب اقتصادية، معارك ثقافية كالحاصل في فرنسا اليوم ضد ما تعتبره الحكومة الفرنسية أمركة وخرق للأصالة واللغة الفرنسيين.

ونتطرق في بحثنا هذا للإعلام السياسي تحديداً لرصد التطورات الاجتماعية الاقتصادية لحرب الخليج عبر فترة حُدِّدت بـ ٦ شهور، وهي مرحلة الصراع العسكري، أبانه، خلاله وما تلاه بقليل من خلال عملية رصد للخبر والرأي في كل من الصحف الثلاث: «النهار»، «السفير» و«الحياة» معتبرين أننا نقارن هنا بين ثلاثة تيارات إعلامية مكتوبة ومختلفة بما تمثله كل منها من توجه وخط ومرجعية مفترضين التالي:

ـ إن الإرتباطات التمويلية والسياسية للصحيفة أثّرت على أدائها الصحافي في تغطية موضوع تطورات حرب الخليج اقتصادياً واجتماعياً. وقدَّرنا بداية إن هذا الأداء يغطي الخبر، الرأي والتحقيق. وواجهنا في تحضيرنا لهذا البحث مشكلتين أساسيتين هما:

١ ـ سيطرة الإعلام الغربي سيطرة تامة ـ كمصدر للخبر ـ على كافة الشبكات الإعلامية المحلية والعربية.

٢ ـ طغيان المسألة السياسية نظرياً والإعلامية إجرائياً ومبدئياً على رصد واستخلاص النتائج المرجوة من هذا البحث وهي النتائج الإجتماعية والاقتصادية.

إذن فقد افترضنا سلفاً خطاباً مستقلاً لكل من هذه الصحف مع وعينا التام بوحدانية المصدر الإعلامي على الأقل تبعاً لوكالات الأنباء الأجنبية وقدراتها في امكانية الحصول على الخبر،

الوجود في مكان الحدث وطريقة التعميم والنشر علماً بأن هذا الإعلام أي الإعلام الغربي كان بحد ذاته موضع توجيه ورقابة في تلك الفترة. وبغض النظر عن كونه تقريباً وبالفطرة موجّه من الأساس لاعتبارات سياسية تاريخية واجتماعية. ونصطدم هنا بسؤال يتهيأ لنا من خلاله تشكّل عقبة أولية وهامة في تطبيق صحة الفرضية وهو: كيف افترضنا اختلاف الأداء ومصدر الخبر واحد؟ أي كيف يكون من الممكن أن يختلف طعم مياهٍ في عدة أوعية غرفت من نبع واحد؟ وكان هذا كافياً في الظاهر لصرف النظر عن الفرضية كونها لاغية أساساً ضمن هذا الإطار، ولولا إيماننا الراسخ بنقطتين أساسيتين هما:

أولاً: إنه ليس من الضروري أن تتأكد صحة الفرضية في جميع الأبحاث والدراسات، لأن نقض الفرضية هو في حد ذاته نتيجة ونتيجة مبنية لا على التخمين والتصور الأولي، بل على دراسة بالأرقام والنسب واستخلاص نتائج تحول التخمين إلى إجابة مؤكّدة ومبنيّة على أُسس علمية ومنهجية.

ثانياً: إنه رغم جميع المؤشرات التي تؤكد سيطرة الخبر العالمي أو الأجنبي على الصحافة المحلية والعربية، كان لدى الباحث ظناً أراد أن يحوّله إلى يقين في إثباته إن توجه الصحيفة بالتزاماتها السياسية والتمويلية، لا بد أن يعثر على قنوات يتبدى من خلالها لخدمة أهداف الجهات الداعمة والممولة مما يحقق الإختلاف والتباين في وجهات النظر.

وبناءً على ذلك حاولنا في هذه الدراسة ايضاح تلك القنوات التي تميز اختلاف التوجهات من خلال عملية مقارنة للخبر ورصد نسبة اختلافه وحجمه وتحليل للرأي في الصحف الثلاث المعنية وذلك على مراحل كالتالي:

القسم الأول:

١ ـ ما قبل الضربة الجوية من ١ كانون الثاني وحتى ١٧ منه.

٢ ـ مرحلة الضربة الجوية من ١٨ وحتى انتهائها.

القسم الثاني: الحملة البرية.

القسم الثالث: ما بعد الحملة البرية.

١ ـ وقف الحرب.

٢ ـ بدء الحرب الأهلية في العراق.

علماً أن طريقة التقسيم وجدولتها كانت دائماً بشكل نصف شهري أي من ١ إلى ١٥ من الشهر ومن ١٦ إلى ٣٠ منه. ولم يشذ عن هذه القاعدة سوى شهر كانون الثاني (يناير) بسبب

بدء الضربة الجوية في ١٧ منه ولتأثير ذلك على نسبة تزايد الخبر عن المرحلة التي ما قبلها ولو شكل هذا الفرق يوماً صحافياً وإخبارياً فقط.

أما الرأي فقد أتبعنا في تحقيق مادته بالأسلوب نفسه، وقد تبيّن أن الرأي شكل خرقاً نسبياً وموحداً للفرضية في الصحف الثلاث وهذا ما بينته مراحل الدراسة، رغم كون صحيفة «الحياة» لبنانية بامتيازها أصلاً ومتحولة تالياً إلى صحيفة عربية بانتقال امتيازها إلى المجال العربي ـ الخليجي تحديداً .. لذلك، والتزاماً منا بمنهج وحدود الدراسة «الخطاب الصحافي اللبناني» لم نعتمد في تحليل الرأي فيها سوى على اراء الصحافيين اللبنانيين العاملين في «الحياة» والذين ما زالوا يشكلون نسبة كبيرة من الصحافيين العاملين فيها. وقد خصّص الباحث للمادة التي شكلت الرأي الفصل الثاني من الدراسة على طريقة العرض، التحليل، المقارنة في محاولة لسبر أغوار الإجابة أي إن الرأي والقائلين به رغم ارتباطاتهم العملية والتحويلية لم يكن باستطاعتهم الخروج من الإطار الزمني والتاريخي الذي شكل خلفيتهم الأساسية فكرياً وثقافياً. هذا الإرتباط الذي شكّل ربما، نوع من التّحدي لذواتهم الحقيقية، الأصلية أو المهنية. أنها إشكالية البحث التي تُرجمت بالمدى الفكري المرحلي الذي استطاع فيه الخطاب الصحافي اللبناني أن يتحرر من الإرتباط وأن يحافظ على سنده الفكري الأساسي وهو السند القومي. وهنا وجب علينا شرح الفرق بين الخطاب الإعلامي والأداء الإعلامي المجرد، خاصة أن الرأي بمجمله قد صبّ في **همّ قومي واحد** تجلى في عبارات رفض هيمنة الغرب والتفتت العربي والترحيب بأي مبادرة عربية جامعة. وفي **مسلك قومي** تبدى في عداوة العبارة في تحليل المواقف التي رافقت المعركة وما تلاها في حرب الخليج وذلك في الصحف الثلاث على اختلاف ميولها؛ رغم أن صحيفة «الحياة» مرت بمرحلةٍ ـ ما قبل الضربة الجوية ـ عملت فيها على تبرير الإستعانة بالآخر وحاولت تلميع صورته السلبية تاريخياً تمهيداً لإقناع الشارع العربي بقبوله كحليف عادل ينصر المظلوم ويحقق العدل.

وكان لزاماً علينا العمل على تحويل اصطلاح المفهوم القومي من مفهوم سياسي عام وادخاله في تأثيره على المسار الإجتماعي الإقتصادي للبحث، أي تحويله إلى نوع من المفهوم الإجتماعي لخدمة هدف الدراسة.

أما «التحقيق» فقد اتضحت مشكلته بالنسبة لمنهجية الدراسة من حيث تفاوت نسبته وحجمه حسب امكانات الصحيفة والتي كان أقدرها على القيام به صحيفة «الحياة» لتوفر عدد كبير من عامليها ومراسليها في مناطق مختلفة في الداخل والخارج العربي وقدرتها على التغطية المادية، العامل الذي لم يكن متوفراً نسبياً للصحيفتين الأخريين، مما اضطر الباحث إلى عدم اعتماد التحقيق كمادة أساسية للبحث وإلغائه من عملية الإحصاء والجدولة رغم الاستعانة ببعض التحقيقات الواردة في «الحياة» أو في الصحف الأخرى ـ على ندرتها ـ ومصدرها وكالات أجنبية وذلك لضرورات الدراسة.

إذن، فقد تكونت الدراسة من مقدمة؛ تناولت:

١ ـ الوعي بأهمية الإدارة والدور الإعلاميين لحرب الخليج الثانية.

٢ ـ شرح الفرضية.

٣ ـ المراحل التي مرت بها الدراسة أو خلاصة البحث وشرح المنهج: طريقة العمل، مشكلات ومعطيات.

ثم عملية تقديم لأدوات البحث ـ الصحف الثلاث من ١ كانون الثاني إلى ٣٠ حزيران بهذه الطريقة:

الخبر	الرأي	التحقيق
ـ التشابه والإختلاف	ـ عرض	//
ـ حجم الخبر ونسبته	ـ تحليل	//
ـ إبرازه أو اخفائه	ـ تصنيف ومقارنه	//

وذلك في رصد للخبر وقراءة للنسب والأرقام عن طريق جداول أساسية نصف شهرية مصنفة اقتصادية واجتماعية. وجداول مساعدة لتبيان نسبة الخبر العربي إلى المصدر العالمي وتأثير ذلك على موضوع البحث وعلاقته به.

الفصل الأول:

* تمهيد: الخلفية الجيوسياسية والاجتماعية للخليج العربي.

القسم الأول: مقارنة بين الصحف الثلاث في التطورات من خلال الخبر اجتماعياً واقتصادياً:

١ ـ ما قبل الضربة الجوية.

٢ ـ خلال الضربة الجوية.

القسم الثاني: الحملة البرية.

القسم الثالث: ما بعد المرحلة البرية:

١ ـ وقف الحرب.

٢ ـ بدء الحرب الأهلية.

الفصل الثاني:

الرأي: نفس طريقة التحقيب للخبر في: عرض، تحليل، مقارنة وتصنيف.

خلاصة البحث: تساؤل ذاتي يفتح باب الإحتمالات على شتى المستويات من خلال دواعي خرق الفرضية وأسباب الحصول أو التوصل إلى نتيجة معينة.